مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

بعض مظاهر عالمية اللغة العربية قديما وحديثا

Some Characteristics Of The Universality Of Arabic Language

محمد بن حجر
جامعة المدية
mohamedbenhadjer@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019-09-27 تاريخ القبول: 2019-11-16

الملخص -

إن عالمية اللغة العربية لها مظاهر كثيرة، منها ما هو في رسم حروفها، حيث كتبت لغات عديدة من أسرتها ومن خارج أسرتها بالخط العربي، ومنها ما هو في صرفها ونظام التقليبات فيها، وقد استغل ميزان صرفها أبو حيان في الإحاطة بألفاظ اللغة التركية ووزنها بها، واستغل نظام التقليبات نحاة اللغة العبرية في دراسة لغتهم، ومنها ما هو في جذور ألفاظها، حيث لا يزال دارسو اللغات السامية يرجعون إلى اللغة العربية في دراستها، ومنها ما هو في نحوها ونظريات نحوها التي منها نظرية العامل، حيث اقتبسه الأروبيون من نحونا فيما سموه بنحو التبعية، ثم استغله تشومسكي واستعمله في نحوه التوليدي التحويلي.

ويمكن لهذا البحث أن يجلي كل هذه المظاهر والحيثيات ولو باقتضاب للدلالة على عالمية اللغة العربية قديما وحديثا، وهو ما يزيد في تشبثنا بلغتنا وأصالتها ودقة نظامها وعمقه، ويفيدنا أن اللغة العربية ما زالت قادرة على العطاء لما تملكه في ذاتها من إمكانيات عز وجودها أو وجود نظائرها في غيرها من اللغات.

الكلمات الدالة -

عالمية اللغة – رسم الحروف – أوزان الكلمات – نظرية العامل – نحو التبعية.

المؤلف المرسل : محمد بن حجر mohamedbenhadjer@gmail.com

Abstract-

The Universality Of The Arabic Language Has Many Manifestations Such As Its Inscription As Many Languages, From Within Its Family And Out Of It, Used The Arabic Letter Script And Others Relate To Its Grammar And System Of Permutation. Abu Hayan Used Arabic Grammar To Examine Turkish Vocabulary And Its Grammar. Many Other Grammarians Also Made Use Of Its System Of Permutation To Study The Hebrew Language; Some Of These Properties Exist In The Roots Of Its Lexicon. Thus Scholars Of Semitic Languages Still Make References To Arabic. Some Relate To Its Grammar And Factor Theory As Many European Scholars Borrowed It To Become Nicknamed Dependency Grammar. Then It Was Used By Noam Chomsky In His Transformational Generative Grammar.

This Research Will Reveal All Aspects, Albeit Briefly, That Indicates The Universality Of The Arabic Language, Both In The Past And Now. This Pushes Us Further To Preserve Our Language, Its Originality, Accuracy And Depth Of Its System. Indeed, Arabic Is Still Rich Due To Its Inherent Potentials Which Are Rarely To Be Found In Other Languages.

Key Words-

Universality Of Arabic, Word Structures, Inscription, Factor Theory, Grammar Dependency.

1 مقدمة:

لا يشك أحد في أن اللغة العربية قد بلغت العالمية يوم كانت الحضارة العربية في أوج عطائها، بعدما تم لها من الفتوحات ما بلغت به الأراضي الأوروبية، حيث كانت لغة العلوم بمختلف فروعها، وكان الإقبال على تعلمها من غير أهلها على أشده، ولقد أحسنت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في تصوير هذه الحقبة من حياة اللغة العربية حين قالت: "كان من الطبيعي أن تصبح اللغة العربية لغة للإدارة والسياسة والقانون، بل لغة للتجارة والمعاملات وجمهور الناس، ومن ذا الذي يريد أن يخرج عن لغة الجماعة ؟ وكيف يستطيع أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد ؟ فجيران العرب

المنارة للاستشارات

أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة، حسبما كان يشكو أساقفة إسبانية بمرارة.

فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتعلمون اللغة العربية بشغف، حتى أن اللغة القبطية مثلا ماتت تماما، بل إن اللغة الآرامية لغة المسيح قد تخلت إلى الأبد عن مركزها لتحتل مكانها لغة محمد (صلى الله عليه وسلم)، كما أنه وجب ترجمة بيانات البابا وقرارات المؤتمرات المسيحية في القرن التاسع إلى العربية للأقلية المسيحية في الأندلس التي لم تعد تفهم اللغة اللاتينية، وحتى بعد احتلال المسيحيين ثانية للأندلس فقد رأت الكنيسة نفسها مجبرة على أن تترجم الإنجيل لهؤلاء المسيحيين بعد تحررهم إلى اللغة العربية.

وهكذا تحولت لغة قبلية في خلال مائة عام إلى لغة عالمية، ليست اللغة ثوبا نرتديه اليوم لنخلعه غدا، لقد وجدت العربية تجاوبا من الجماعات وامتزجت وطبعتهم بطباعها، فكونت تفكيرهم ومداركهم، وشكلت قيمهم وثقافتهم، وطبعت حياتهم المادية والعقلية

فأعطت للأجناس المختلفة في القارات الثلاث وجها واحدا مميزا. حتى السلاجقة والأتراك والمماليك والتتار عندما وصلوا إلى الحكم ظلوا بقلوبهم رعايا مخلصين للثقافة العربية ولغتها بل ولأساليب الحياة العربية وفكرها، حقا إن قدرة هذه العقلية العربية على طبع الشعوب لرائعة".[1]

وعليه فقد نص كثير من الدارسين على أن اللغة تنمو وتتطور بنمو وتطور أهلها، وأنها بذاك تنتشر ويذيع استعمالها في الآفاق، وحال اللغة العربية قديما يشهد على ذلك، كما يشهد عليه اليوم حال الإنكليزية.

ولكن مع ذلك فإن اللغة العربية رغم ضعف أهلها وانحدار حضارتهم فإن فيها من مقومات البقاء وعناصر القوة ما جعلها تزاحم كبرى اللغات العالمية، وعصية على كل محاولات التقزيم التي شنها عليها ولا يزال أعداؤها الذين هم في الحقيقة أعداء الإسلام، ذلك لأن مقومات البقاء وعناصر القوة فيها هي التي أهلتها لتكون لغة القرآن ولسان الإسلام.

[1] - شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ط8، 1413هـ، 1993م، بيروت. ص367 -368.

المنارة للاستشارات

وما قررته اللسانيات الغربية من أن الألسنة البشرية لا تفاضل بينها، وأنه انتهى زمن اعتبار اللغة العربية لغة فاضلة كما هو معتقد المسلمين، هو حق من زاوية نظر معينة، وهي أن اللغات متساوية من حيث الوظيفة الإخبارية فقط، ولكن وظائف اللغة كما بين ذلك ياكبسون كثيرة، ومنها الوظيفة الجمالية، ففي هذه الوظيفة تتفاضل اللغات، ولعل اللغة العربية من حيث هذه الوظيفة أجمل اللغات وأدقها وأبلغها.

وعودا على بدء أقول: إن اللغة العربية رغم تدني المستوى الحضاري لأهلها، وزهد بعض أبنائها فيها، وتقاعس نخبها عن خدمتها، ورغم كل المحاولات الاستعمارية والشعوبية لمسخها ونسخها، لا زالت لغة عالمية، ليس فقط لكثرة مستعمليها، ولكن لما فيها من مقومات البقاء وعناصر القوة كما قلنا.

وفيما يلي ذكر بعض هذه المقومات والعناصر التي هي مؤشرات واضحة ودلائل لائحة على عالمية اللغة العربية قديما وحديثا، في معجم ألفاظها ونحوها وصرفها وبلاغتها وعروضها ورسم حروفها.

2. اللغة العربية هي اللغة السامية الأم:

لقد بحث كثير من الدارسين المحدثين والمعاصرين عربا وأروبيين في أمر اللغة السامية الأم، ورجح أكثرهم أن اللغة السامية الوحيدة التي لا تزال تحتفظ بخصائص اللغة الأم هي اللغة العربية، وذهب المحققون منهم إلى أن العربية هي السامية الأم، وأن موطن الساميات الأصلي هو شبه جزيرة العرب، وعليه فكان من الحق أن تسمى الساميات بالعروبيات.[2] "فما من قاعدة من قواعد اللغات السامية تابعت نموها ونضجت في تطورها كما نضجت في لغتنا العربية، بعد ذلك التقدم المتطاول من أقدم العصور:

في اللغات السامية إعراب ولكنه قاصر غير مطرد ولا متناسق في مواضعه، ولم يبلغ قط

مبلغ (القانون) الذي نعرف فيه حدود الاطراد وحدود الاستثناء.

[2] -انظر في ذلك على سبيل المثال: (الخط العربي: أصوله نهضته انتشاره، عفيف البهنسي ص23) و(أشتات مجتمعات للعقاد، ص 23) و(مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية،ص9)،و(فقه اللغة، عبد العزيز أحمد علام، عبد الله ربيع محمود، ص92، وص 118) و(الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص81).

المنارة للاستشارات

وفي اللغات السامية اشتقاق ولكن قوالب المشتقات فيها لم تتميز بأوزانها ومعانيها كما تميزت مع تطور اللغة العربية.

وفي اللغات السامية حروف لم تعرف في غيرها من العائلات اللغوية كما يسميها المحدثون، ولكن لغة من اللغات – سامية كانت أو آرية أو طورانية – لم تتحرر بحروفها ولا الحروف بمخارجها كما تحررت في لغة الضاد، فليس في لغة الضاد حرف ملتبس بين مخرجين ولا مخرج ملتبس بين حرفين.

وفي اللغات السامية نحو وصرف ولكنهما واقفان – فوق المنبت – جذورا كالخشب الذي لا يقبل النمو بعدما وصل إليه، وما من جذر من جذور نحونا أو صرفنا لم يتفرع ولم يحتفظ بقوة الحياة فيه كما تحتفظ البنية الحية بقوة حياتها، في كل عضو من أعضائها".[3]

ومما يدل على هذه الحقيقة أن المستشرقين المعنيين بدراسة اللغات السامية (العبرية أو السريانية أو الآرامية) أو غيرها يعتمدون كثيرا على اللغة العربية في فهم ما خفي عليهم من ألفاظ أو ظواهر لغوية في أي لغة سامية غير العربية.[4]

3. تأثير اللغة العربية في لغات العالم:

إن تأثير لغة في أخرى وتأثرها بها واقع معروف منذ القدم، وبخاصة عند وجود احتكاك بين أهل اللغتين، بسبب حروب أو تجارة أو تبادل اقتصادي أو ثقافي، واللغة العربية ككل اللغات الكبرى أثرت وتأثرت، ولكن يبدو أن تأثيرها كان أكبر من تأثرها، وبخاصة على الشعوب الإسلامية، لارتباطها بالقرآن وهو الكتاب المقدس لدين الإسلام.

وتأثير اللغة العربية على الفارسية والتركية والهندوسية والأمازيغية وحتى الإسبانية كان أكبر من تأثيرها على أي لغة أخرى.

فأما الفارسية ففيها من ألفاظ العربية الكثير والكثير حتى قال فؤاد عبد المعطي الصياد عن كثرة الألفاظ العربية التي دخلت الفارسية: "ونحن في الحقيقة إذا رحنا نبحث وندقق عن السيل الفياض من الألفاظ العربية التي

---

[3] – أشتات مجتمعات في اللغة والأدب. عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي،القاهرة.ص27.

[4] – انظر :علم اللغة العربية: مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغة السامية، محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م.ص132.

المنارة للاستشارات

دخلت قديما وحديثا، فإننا نجد القاموس العربي قد دخل بأجمعه في ثنايا القاموس الفارسي".[5]

وقد جرت محاولات كثيرة قديما وحديثا لتصفية اللغة الفارسية من الألفاظ العربية فلم تحل بطائل، وقد قال المستشرق براون في هذا الصدد: "ولو أن أحدا أراد أن يكتب شيئا بالفارسية بحيث تكون كتابته خلوا من الألفاظ العربية لتعسر عليه الأمر، كما يتعسر على الذي يريد أن يكتب شيئا بالإنجليزية بحيث تكون كتابته خلوا من كل كلمة يرجع اشتقاقها إلى أصل يوناني أو لاتيني أو فرنسي".[6]

وقال:"والشاهنامه نفسها وقد ألفها الفردوسي منذ ألف سنة تقريبا وقصد متعمدا – كما تدلنا على ذلك المقارنة بينها وبين الشعر المعاصر لها – أن يصوغها في أقدم العبارات والأساليب، لا يستطيع أحد أن يدعي أنها خالية من الألفاظ العربية كما يظن بعض الناس ممن لا قدرة لهم على التحقيق والتمحيص".[7]

بل "يرى البعض أن الشاهنامه تحتوي على ما يقرب من ثمانمائة كلمة عربية، وقد يقل هذا العدد أو يكثر لدى كل باحث من الباحثين، ولكن الحقيقة التي لا شك فيها هي وجود كثير من المفردات العربية في هذه المنظومة التي يصل عدد أبياتها إلى ستين ألف بيت".[8]

وأما التركية فكما قال أحد الباحثين: "توجد في اللغة التركية عدة آلاف من الكلمات العربية، ثم مئات من كلمات مركبة من (العربية والتركية) أو (التركية والعربية)، وتصل نسبة الكلمات العربية في اللغة التركية أكثر من 30%، وإني قد جمعت نحو ستة آلاف كلمة عربية خالصة، ومئات من الكلمات

---

[5] - القواعد والنصوص الفارسية، فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية، ط2، 1970م، بيروت، لبنان.ص11.

[6] - تاريخ الأدب الإيراني من الفردوسي إلى السعدي، إدوارد جرانفيل براون، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة.ص14.

[7] نفس المرجع.ص15.

[8] قاموس الألفاظ العربية في اللغة الفارسية، محمد نور الدين عبد المنعم، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1426هـ. 1/21 -22.

المنارة للاستشارات

المركبة (من العربية والتركية) وذكرتها في كتابي (قاموس الكلمات العربية في التركية العثمانية) عام 1407 هـ".[9] وهذا على الرغم من محاولات الكماليين الأتراك تصفية لغتهم من الألفاظ العربية بعد التحول إلى الحرف اللاتيني في كتابة اللغة التركية، "ولولا ذلك التأثير الكبير للغة العربية في اللغة التركية لما بقيت تلك الألفاظ العربية الكثيرة، التي تعج بها قواميس اللغة التركية، مع ما رافقها من محاولات جادة في أوساط اللغويين الهادفة إلى العودة إلى الجذور اللغوية التركية الأصيلة التي لم يستسغها المجتمع التركي".[10]

وأما اللغة الهندوسية أو الهندستانية فهي اللغة الأردية لسان كل مسلمي الهند وباكستان ، ولا يشك أحد في عروبة الكثير من ألفاظ هذه اللغة، ولا تزال كتابتها برسم الخط العربي، مع اقتباس حروف الفارسية الأربعة التي لا توجد في العربية ومع بعض التعديلات اللازمة.

وقد ألف سمير عبد الحميد إبراهيم (معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردية) فبين فيه كيف نشأت اللغة الأردية بتأثير من اللغة العربية بحكم إسلام من أسلم من الهنود، وقال: "وليعلم القارئ العربي أن هذه اللغة جاء عليها زمان – في مرحلة تطورها - لم تكن تتعدى حدودها جدران (قلعة معلى) أو القلعة الحمراء، في مدينة (شاهجان آباد) أي دهلي، ثم صارت لغة الناس من كشمير إلى رأس كماري، ومن كلكتا حتى كراتشي، ووصلت بشاور ولأفغانستان، وعدن ومالديب وسري لنكا وسنغافورة ولندن وكندا وأمريكا والمملكة العربية السعودية وبقية دول مجلس التعاون الخليجي والبلدان العربية الأخرى وعدد كبير من بلاد إفريقيا وخاصة جنوب إفريقيا، حيث انطلق العامل مع الموظف والتاجر مع الواعظ والداعية، وكلهم يتكلمون الأردية رغم اختلاف مساقط رؤوسهم".[11]

---

[9] اهتمام الأتراك باللغة العربية وأثرها في اللغة التركية، عبد الله مبشر الطرازي، صحيفة المدينة، الأربعاء، 2011/05/04.

[10] - معجم الألفاظ العربية في اللغة التركية، سهيل صابان حقي، ط1، 1426 هـ، 2005م.الرياض، المملكة العربية السعودية. ص15.

[11] - معجم الألفاظ العربية في اللغة الأردية، سمير عبد الحميد إبراهيم، أشرفت على طباعته ونشره الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، المملكة العربية السعودية.ص13.

المنارة للاستشارات

وأما اللغة الأمازيغية فهي لغة البربر في شمال إفريقيا وبعض المواطن من غيرها، ولئن كان الخلاف قد وقع بين الدارسين في أصلها، فإن المحققين منهم على أن أصلها عربي، وأن البربر الأمازيغ هم من جملة العرب الذين نزحوا من شبه جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا، ورغم أن الصراع الآن قائم بين أهلها في حروف رسمها، التفيناغ أم الحرف اللاتيني أم الحرف العربي، فإن تراثا كبيرا للبربر قد كتب بالحرف العربي، وهو الحرف اللائق بهذه اللغة ذات اللهجات المتنوعة.

وقد حقق القول في عروبة الأمازيغ ولغتهم وخطهم الباحث المتخصص في علم اللغة المقارن سعيد بن عبد الله الدارودي في كتابه (مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان) واستدل على ذلك بدراسة ألفاظ الأمازيغية ومقارنتها بألفاظ اللغة العربية بمختلف لهجاتها وبخاصة لغة ظفار من سلطنة عمان.[12]

وكذلك فعل الباحث الجزائري عثمان سعدي وهو بربري من الشاوية في كتابه (معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية "البربرية") فإنه قال: "والمعجم يؤكد هذه الحقائق، فتسعون في المائة من الكلمات الأمازيغية البربرية عربية عاربة أو مستعربة، ونحو البربرية متوافق مع نحو العربية".[13]

هذا وقد عقد الأب رفائيل نخلة اليسوعي الباب الثاني من كتابه (غرائب اللغة العربية) بعنوان (تأثير العربية دون سواها في نحو مائة من لغات العالم) فقال في التمهيد: "اليونانية واللاتينية أقدم جدا من العربية، وقد نبغ فيهما مئات من الناثرين والشعراء قبل انبلاج فجر الآداب العربية، مع ذلك لم تؤثرا على توالي الأجيال تأثيرا يذكر إلا في لغات أوربة، والتي انتقلت منها مع الفاتحين والمهاجرين إلى أقطار أميركة وأستراليا، أما الفرنسية والإنكليزية وهما أشد اللغات تأثيرا في ألسن الشعوب المتمدنة، فلم يتجاوز نفوذهما في العالم حدود تأثير اليونانية واللاتينية. بعكس ذلك نرى للعربية مع تناقص سطوع

12 - انظر: حول عروبة البربر: مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان، سعيد بن عبد الله الدارودي، منشورات فكر،ط1، 2012م. ص11.

13 - معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية (البربرية)، عثمان سعدي، منشورات مجمع اللغة العربية الليبي، ط1، 2007م.ص ب.

المنارة للاستشارات

شمس آدابها عدة عصور قبل القرن التاسع عشر تأثيرا واضحا غير يسير في نحو مائة من اللغات واللهجات الناطق بها أرقى الأقوام في أنحاء أوربة وأميركة وأستراليا، ونحو خمسين من شعوب آسية وإفريقية. إن هذا المجد المختص بلغة الضاد لمن العجب العجاب، فيثير قوى العقل لاكتشاف أسبابه".[14] وأسبابه على رأيه سرعة انتشار الإسلام وكثرة فتوحات العرب وتأثير الثقافة العربية.

ثم ذكر في جداول مئات الكلمات التي دخلت اللغات الأوروبية، فذكر في فصل بعنوان (تأثير العربية في أكثر لغات أوربة) تأثيرها في الإسبانية والبرتغالية والفرنسية والإنكليزية، وذكر تأثيرها في لغات البلاد البلقانية: الرومانية والقرواطية والبلغارية والألبانية واليونانية.

وقال: "أكثر هذه اللغات السبع والثلاثين[15] اقتباسا للكلمات العربية هي الإيرانية والتركية والهندستانية وأشباهها، فإن قاموس كل منها حافل بآلاف من ألفاظ لغتنا، بحيث لا يكاد يمكن العثور على جملة طويلة في تلك الألسن لا تحوي عدة عناصر عربية، في الأربع والثلاثين آية الأولى من إنجيل القديس يوحنا قد وجدنا من كلمات لغتنا 111 في الإيرانية، 104 في التركية، 80 في الهندستانية".[16]

4. النحو العربي وأثره في نحو اللغة العبرية وغيرها:

"لم يؤلف اليهود كتبا علمية في قواعد لغتهم إلا بعد أن تتلمذوا للعرب وبعد أن نشؤوا في مهد الثقافة الإسلامية نشأة مكنتهم من فهم العلوم العربية على اختلاف أنواعها، فظهر في أواخر القرن التاسع سعديا (983 -942م) وهو سعيد بن يوسف الفيومي، فيلسوف اليهود في القرن العاشر، وكان أول النحاة العبريين الذين وضعوا قواعد النحو العبري، على غرار قواعد اللغة العربية، في كتابه (المجموعة) إجارون... وجاء من بعده من النحاة مناحيم بن سروق الذي ألف كراسة في قواعد العبرية، ودوناش بن لبراط، ويهودا بن داود حيوج المشهور عند العرب بأبي زكريا يحي، ويونا بن جناح القرطبي المعروف بأبي الوليد

[14] - غرائب اللغة العربية، الأب رفائيل نخلة اليسوعي، الطبعة الثانية المكملة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.ص119.

[15] - وهي اللغات التي اتخذت الحرف العربي لكتابة لغتها كما سيأتي.

[16] - غرائب اللغة العربية.ص126.

المنارة للاستشارات

(المتوفى عام 1040) وشلومو بن جبيرول (أبو أيوب سليمان يحي) وأبراهام عزرا وغيرهم، وقد ألفوا كتبهم – من لغوية وغيرها - باللغة العربية، وسلك جميعهم مسلك النحاة العرب وخاصة سيبويه، ونظرة في كتابي (الأصول) و(اللمع) لابن جناح تطلعنا على مقدار ما للعرب من فضل على اليهود".[17]

ويكفي للتدليل على ذلك ما قاله ابن جناح في كتابه (اللمع) عند حديثه عن عدد حروف الكلم، فإنه قال: "الحرفان إذا اجتمعا لا يكونان إلا كلمتين، كما في[..] و[..] فإن التوليفة منهما تعطي:[..] و[..]، مع ثلاثة أحرف يمكن تكوين ست كلمات، حيث يكون بعضها مهملا، (ويعطي مثالا على ذلك باللغة العبرية) ومع أربعة أحرف يمكن أن نكون أربعة وعشرين كلمة، لكن حيث يكون أكثرها مهملا (ويعطي مثالا على ذلك بالعبرية)، وهذا التزايد يفسر كالتالي:

بما أن حرفين يشكلان كلمتين، فإنا بضرب الحرفين في 3 عدد حرف الكلمات الثلاثية، نحصل على ما يتكون من ست كلمات، وبالمثل فإنا بضرب الكلمات الست في 4 عدد حروف الكلمات الرباعية، نحصل على أربع وعشرين كلمة، وكذلك إن ضربنا الحروف الأربع والعشرين في 5 عدد حروف الكلمات الخماسية يحصل ما يتكون به مائة وعشرون كلمة".[18]

فابن جناح هنا يردد فكرة الخليل بن أحمد الفراهيدي التي ضبط بها مفردات اللغة العربية، والمعروفة بفكرة التقاليب، وهي فكرة رياضية مبناها على التوافيق والتباديل، والتي بها استطاع الخليل أن يصنع أول معجم في تاريخ البشرية، بذلك الترتيب والاستقصاء والشواهد اللغوية. فلم يزد ابن جناح عليها شيئا سوى استعمالها واستغلالها في ضبط مفردات اللغة العبرية.

5. الميزان الصرفي وضبط الكلمات التركية والعبرية:

لما بدأ علماء العربية بجمع اللغة واستقرائها ووضع قواعدها استعملوا قياس النظائر في تصنيف ألفاظها وتراكيبها، وهو القياس الذي أوصلهم إلى تجريد ميزان صرفي تصنف به الألفاظ إلى أبواب، وذلك بمقابلة الحروف الأصول

17 - دروس اللغة العبرية، ربحي كمال، دار النهضة العربية، 1978م، بيروت.ص46.

18 - des parterres fleuris.P34-36

المنارة للاستشارات

للكلمة بحروف (فعل)، ولعل عبد الله ابن أبي إسحق الحضرمي هو أول من فعل ذلك.

وقد أحصى سيبويه في كتابه ثلاثمائة وثمانية وزن أو بنية للكلم العربي، وتابعه على عمله خالفوه،" فالثلاثي من الأسماء المجردة له عشرة أوزان، والرباعي له خمسة، والخماسي له أربعة، وأما المزيد من الأسماء فله أوزان كثيرة، وللفعل المجرد أيضا أوزان سواء كان ثلاثيا أم رباعيا، ولمزيدِ كلٍّ أوزانٌ حصرها النحاة بالاستقراء والحمل، أي القياس. ومفهوم المثال بهذا التجريد وإن كان شيئا مألوفا عند دارسي اللغة العربية لأنهم اعتادوا عليه منذ سنوات الدراسة الابتدائية فهو مما لم تصل إليه اللسانيات الغربية، ولم يعرفه اللسانيون الغربيون إلا من اطلع على التراث النحوي العربي".[19]

وقد وضح عبد الرحمن الحاج صالح في بعض دراساته أن كثيرا من ألفاظ اللغات الهندو أروبية كالإنجليزية تخضع في بنيتها للمُثُل الصرفية، وذلك بصدد رده على النزعة التقطيعية التي ابتليت بها اللسانيات الغربية، ظنا منها أن مثال الكلمة لا يليق إلا باللغات الاشتقاقية.

ولعل في العمل الرائد الذي قام به أبو حيان النحوي لوضع قواعد للغة التركية وضبط ألفاظها ما يشهد لقول الحاج صالح بالصحة العلمية والدقة المنهجية، فقد وضع أبو حيان النحوي في كتابه (الإدراك للسان الأتراك) نحوا للغة التركية (العثمانية) يضبط قواعدها فقال: "والغرض في هذا الكتاب ضبط جملة غالبة من لسان الترك لغة وتصريفا ونحوا"،[20] وقال: "فما كان فيه من علم اللغة فمأخوذ عمن أثق به في باب النقل، ولي فيه الترتيب الغريب والتلخيص العجيب".[21]

19 - الاستدلال في كتاب سيبويه: طبيعته وأنماطه، محمد بن حجر، رسالة دكتوراه، إشراف، بن لعلام مخلوف. ص466.

20 - كتاب الإدراك للسان الأتراك، أبو حيان النحوي، معرف نظار تجليله سنك 242 نومرولي رخصتنامه سيله، مطبعهْ عامري، ده طبع أولنمشدرن 1309. ص9.

21 - نفس المرجع. ص. 9.

المنارة للاستشارات

وأما ما فيه من قواعد النحو والتصريف فهو من اجتهاده الخاص، ولذلك قال: "وما كان فيه من علم التصريف ومن علم النحو فهو مما لم أنسج فيه على منوال، بل استخرجته من القوة إلى الفعل بالتطلب والتسآل".[22]

ولما بدأ أبو حيان بضبط الأسماء من اللغة التركية قال بعدما قسمها إلى آحادي وثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي: "فالآحادي متحرك بضمة ومتحرك بفتحة ومتحرك بكسرة، والحروف التي بعدها إشباع وليست أصلا "[23]، وذكر أمثلة ذلك، ثم قال: "والثنائي تقتضي القسمة العقلية اثني عشر قسما وكلها مسموع"[24]، يعني أن الميزان هو (فع)، والقسمة العقلية هي بضرب أحوال الفاء الثلاثة أي فتح الفاء أو ضمها أو كسرها، في أحوال العين الأربعة، أي فتح العين أو ضمها أو كسرها أو سكونها.

وبعد أن ذكر أمثلتها من لغة الترك ذكر أن القسمة العقلية تقتضي فيما زاد على الثنائي أبنية كثيرة ولكن المسموع من الثلاثي: "ستة وعشرون بناء"،[25] ومن الرباعي: "ثلاثة وثلاثون بناء"،[26] ومن الخماسي: "ثلاثة وعشرون بناء".[27]

وفي ضبط الأفعال قال أبو حيان بعد أن قسم الأفعال إلى آحادي وثنائي وثلاثي ورباعي:" فالآحادي متحرك بضمة ومتحرك بفتحة ومتحرك بكسرة، والحروف فيها إشباع كما تقدم في آحادي الأسماء"،[28] ثم قال:" والثنائي تقتضي القسمة العقلية اثني عشر قسما والمسموع منها عشرة أبنية"[29] فذكرها، ثم بعد أن ذكر أن القسمة تقتضي في الثلاثي والرباعي أبنية كثيرة قال عن الثلاثي:

22 - نفس المرجع. ص. 9

23 - نفس المرجع: ص126.

24 - نفس المرجع. ص. 126

25 - نفس المرجع:ص127.

26 - نفس المرجع، ص 127.

27 - نفس المرجع:ص128.

28 - نفس المرجع:ص129.

29 - نفس المرجع، ص129.

المنارة للاستشارات

"والمسموع منها تسعة عشر بناء"،[30] وعن الرباعي:" والمسموع منها خمسة عشر بناء".[31]

وأما الخماسي فقال فيه: "وقد نطقوا بأفعال خماسية، وهي قليلة جدا"،[32] ثم قال: "وهذه الأبنية إنما وزناها وقابلناها هذه الأمثلة لنحصرها، وينبغي البحث عن كل بناء منها حتى تعرف الحرف الأصلي منها من الزائد، فيقابل الأصلي بالأصلي، والزائد بالزائد، ولعلنا فيما يستقبل إن شاء الله تعالى نتعرف على ذلك"،[33] وقد فعل ذلك فيما بعد فقال:"(هذا باب نذكر فيه حروف الزيادة وأماكنها)".[34]

فقد تنبه أبو حيان إلى أن كلمات اللغة التركية يمكن أن تحصر وتضبط بالميزان الصرفي العربي، رغم ما بين اللغة التركية واللغة العربية من فوارق، فاللغة العربية لغة اشتقاقية، من أرومة سامية، واللغة التركية لغة إلصاقية من أرومة طورانية.

هذا الذي فعله أبو حيان مع اللغة التركية فعل مثله ابن جناح القرطبي اليهودي مع اللغة العبرية، بل إن هذا الرجل – وغيره من علماء اللغة العبرية من اليهود – اقتبس من النحو العربي المصطلحات والقواعد في وضع نحو للغة العبرية، وذلك في كتابيه الأصول واللمع على الخصوص.

"فهذا الرجل وأنت تقرأ في كتبه تحس أنك تقرأ في كتب النحو العربي لولا تلك الكلمات العبرية التي هي موضوع دراسته، ففي كتابه الأصول مثلا، تقرأ له وهو يتحدث عن الميزان الصرفي قوله:

"باب . اعلم، فتح الله لك كل مشكل، ويسر لك كل مقفل، أنه كثيرا ما تسمعني أقول فاء الفعل،وعين الفعل، ولام الفعل، فاعلم أن مذهبي في ذلك أني أقتطع لجميع الأفعال الماضية خفيفها وثقيلها وجميع ما تصرف منها من فعل

30 - نفس المرجع، ص129.
31 - نفس المرجع:ص130.
32 - نفس المرجع، ص130.
33 - نفس المرجع: ص130.
34 - نفس المرجع. ص141.

المنارة للاستشارات

مستقبل واسم وغير ذلك مثالا من الفعل، أعني من لغة (فعل). فما كان من الأفعال على مثال: (شمر) و(بحر) و(أمر) و(هرج) و(يلد) أقول إن وزنه (فعل).

وأوازي بالشين من (شمر) والباء من (بحر) والألف من (أمر) والهاء من (هرج) والياء من (يلد) فاء الفعل لموازنة فاء (فعل). وكذلك أوازي بالميم من (شمر) والحاء من (بحر) والميم من (أمر) والراء من (هرج) واللام من (يلد) عين (فعل) وأقول في كل واحد منها إنه عين الفعل لموازنة عين (فعل). وكذلك أيضا أوازي بالراء من (شمر) والراء من (بحر) والراء من (أمر) والجيم من (هرج) والدال من (يلد) لام (فعل)".[35]

وهكذا يواصل ابن جناح حديثه عن وزن الكلمات العبرية بالميزان الصرفي العربي، أي: باستعمال حروف (فعل) مع الأفعال المزيدة كما فعل بالأفعال الثلاثية حيث يقول: "وهكذا أصنع أيضا بكل لفظة أريد تلخيص ما تكون (فيه) حروف من حروف الزيادة مثل (....) وغيرهما، فإني أقتطع لها مثالا من الفعل وأوازي باللفظة ذلك المثال، وأقول: حرف كذا (هو) فاء هذه اللفظة، وحرف كذا عينها، وحرف كذا لامها، فأوازي الأصلي بالأصلي والزائد بالزائد"،[36] ويضرب على ذلك أمثلة بالألفاظ العبرية ثم يقول: "فهذا مما يجب (لك) أن تعرفه، فبه تقف على الحرف الأصلي من الزائد، وقد بينت هذا بأشد من هذا التبيين في كتاب اللمع، وإنما ذكرت ما ذكرت منه هنا على سبيل التذكير".[37]

ثم إن ما فعله نحاة اليهود من وزن ألفاظ لغتهم أسماء وأفعالا بالميزان العربي هو قليل من كثير مما اقتبسوه من قواعد اللغة العربية، ولذلك فإن النحو العبري صورة من النحو العربي، والذي قرب لليهود الأخذ من معين نحو العربية اتفاق اللغتين العربية والعبرية في كثير من الخصائص، إذ هما من

---

[35] . كتاب الأصول . أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي . تحقيق: نوباور . أكسفورد . ط1 . دون تاريخ.ص5و6. والكلمات بين قوسين مكتوبة في الأصل بالحروف العبرية، وحولتها أنا إلى الحروف العربية.

[36] . ن.م

[37] . ن.م

المنارة للاستشارات

أرومة واحدة هي السامية، هذا إن لم نقل إن اللغة العربية هي اللغة السامية الأم، أو إن العبرية لهجة عربية عادية.[38]

والذي نخلص إليه هو أن الميزان الصرفي المبني على التجريد واستعمال رموز (ف،ع،ل) مع ما يلزم أحيانا من زيادة حروف (سألتمونيها) أو التضعيف هو ميزان عربي أصيل في تراثنا النحوي، وقد وجد فيه اليهود حاجتهم لضبط ألفاظ لغتهم العبرية، واستطاع أبو حيان أن يضبط به ألفاظ اللغة التركية، وأشار الحاج صالح إلى أنه يمكن به أيضا ضبط ألفاظ اللغات الهندو أوروبية، لأن فيها الكثير من الألفاظ التي تخضع للمثل الصرفية، وأن ضبطها بذلك أفضل من تقطيعها الذي تعودته اللسانيات الغربية.

6 . العامل النحوي في اللسانيات الغربية (النحو التوليدي التحويلي):

إن اشتهار نظرية النحو التوليدي التحويلي من بين سائر النظريات اللسانية الغربية الآن صار حقيقة ماثلة للعيان، وكان قد وقع اختلاف بين الدارسين العرب في تأثر صاحبه تشومسكي بالنحو العربي، لما رأوه من أوجه شبه بينهما، ولكن لم يبق أي معنى للخلاف بعد أن اعترف تشومسكي نفسه بالاطلاع عليه وقراءة كتاب سيبويه. ففي مراسلة له لباحثة عراقية راسلته تسأله عن بعض الجمل في العربية ما إن كانت مدمجة أم لا ؟ قال تشومسكي: "يسرني العلم عن دراستك، وبالمصادفة فإنني قد درست نحو سيبويه قبل 45 عاما، وقد كنت الطالب الوحيد، وذلك أثناء دراستي لمقرر متقدم في اللغة العربية، في مدرسة للدراسات العليا، بجامعة بنسلفانيا، مع فرانز روزنثال، الذي انتقل إلى جامعة ييل".[39]

ونكتفي هنا بالحديث عن أحد أوجه الشبه بين النحوين العربي والتوليدي وهو مفهوم العامل، فهو في نحو العربية عصبها الذي تفيض منه حياتها، وهو في النحو التحويلي يكاد يكون كذلك" حيث لا يكتفي التحويليون خلافا للوصفيين باعتماد وظائف الكلم الناشئة عن تضامها، وإنما يذهبون إلى وجود

[38] -انظر: العبرية لهجة عربية عادية، سلامة سليم سلامة يوسف، رسالة ماجستير بإشراف: يحي عبد الرؤوف جبر ود.غانم مزعل، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

[39] . الجمل الفرعية في اللغة العربية: بين تحليل سيبويه ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية . معصومة عبد الصاحب. كنوز المعرفة. (د.ت)(د.ط)، ص14

المنارة للاستشارات

كلم مؤثرة وأخرى متأثرة، أي أن في الجملة لا بد من وجود كلمة تحكم العلاقات بين الكلم، قال الراجحي: "والتحليل النحوي عند التحويليين يكاد يتجه إلى تصنيف (العناصر) النظمية وفقاً لوقوعها تحت تأثير عوامل معينة، ينبغي على الدارس أن يعرفها ابتداءً، وتكاد المصطلحات التي يستعملها التحويليون لا تختلف عن كلام العرب القدماء".[40]

والحق أن مفهوم العامل لم يظهر في النحو الأروبي إلا في القرن الثالث عشر بالمصطلح اللاتيني REGERE، ومعناه الأصلي هو التدبير والتحكم في الشيء، واستعمل بعضهم مصطلح gobernare مرادفا له، واعتبر عندهم الفعل الحاكم في العلاقات بين الكلم، ونزل منزلة القائد الذي يسير (regit) جيشًا، فكذلك هو الفعل الذي يسير الرفع في التركيب، وفي ذلك قال بطرس هلياس:"العمل معناه أن تتحكم كلمة في كلمة أخرى في داخل تركيب حتى يكتمل هذا التركيب".[41]

ولنا أن نقتصر على ذكر متن الأجرومية ومتن العوامل المائة لنقول: إن أربنيوس[42] ترجم الكتابين ونشرهما في سنة 1617م مع ترجمة لاتينية وشروح، وألف في نحو العربية كتابا تعليميا باللغة اللاتينية بقي بعده قرنين عمدة لتعلم العربية في أروبا، حتى ألف دي ساسي كتابه في نحو العربية.

ولا شك أن رسالة (العوامل المائة) أوضح في الحديث عن العامل والمعمول والعمل، بل هي ما ألفت إلا من أجل إيضاح ذلك، وقد طبع سنة 1814م كتاب هو ترجمة بالإنجليزية بعنوان (The Miut Amil and shurooh Miut Amil) أي: مائة عامل وشروح مائة عامل) مع شروح وتعليقات ونصوص، تأليف

---

[40] . النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1406هـ/1986م. ص148

[41] انظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية.274/2

[42] - مستشرق هولندي، واسمه بالهولندية Van Erpe (1584م . 1624م)،وفي سنة 1617م "نشر إربنيوس النص العربي لكتاب (الأجرومية) لابن أجروم المغربي، وكتاب (المائة عامل) للجرجاني ،مضبوطة بالشكل، مع ترجمة لاتينية وشروح، وكان إربنيوس قد ألف كتابا في تعليم قواعد النحو العربي، نال به شهرة عريضة وبقي الكتاب مرجعا للمستشرقين مدة قرنين، إلى أن ألف في ذلك سيلفستر دي ساسي كتابه في النحو العربي. (انظر:ترجمة "إربنيوس" في موسوعة المستشرقين.ص16)

المنارة للاستشارات

المستشرق لوكت، وقد طبع في كلكوتا الهندية، وفي بداية النص: (The hundred governing powers).

"ويجمل بنا أن نلقي نظرة على كتاب (التحفة السنية في علم العربية) الذي ألفه دي ساسي[43] بالفرنسية، والذي كان عمدة دارسي العربية عندهم بعد كتاب أربنيوس، نشر أول مرة سنة 1799م،وأعيد نشره سنة 1804م وسنة 1815م وسنة 1830م وسنة 1905م،[44] إذ عرض في الجزء الأول منه قواعد اللغة العربية بالطريقة التي اعتادها الغربيون، وعرضها في الجزء الثاني منه بطريقة العرب أنفسهم، وبمصطلحاتهم، وأشهد أني أول ما اطلعت عليه دهشت من دقته وإحاطته بقواعدنا، وبخاصة فيما يخص مفهوم العامل والعمل. كيف وقد أحاط بالعوامل المائة للجرجاني ترجمة وشرحا وتوضيحا، فتحدث عن معنى عناصر البنية العاملية، وفصل القول في العوامل والمعمولات ومعنى العمل، بما لا تجده إلا في شروح (رسالة العوامل المائة).

وعلى سبيل المثال أقتطف منه فقرتين يشرح فيهما معنى العامل، ويعرب فيهما جملتين باللاتينية، مع إظهار إعجابه بطريقة الإعراب العربية كوسيلة تحليل، وللقارئ أن يحكم بعد ذلك إن كانوا قد استوعبوا الدرس النحوي العربي أم لا ؟

قال البارون سلفستر دي ساسي:

41 – toutes les fois qu'il y a dépendance entre deux parties du discours, l'une des deux est censée agir sur l'autre, la régir ou la gouverner, comme l'on s'exprime ordinairement.

Les grammairiens arabes appellent cette influence d'une partie du discours sur une autre, (عمل) action; ils nomment le mot qui exerce cette influence, et qui en régit un autre, (عامل) agissant, et celui qui éprouve cette même influence et qui est régi (معمول); c'est-à-dire, sur

[43] – مستشرق فرنسي (1758 – 1838م) ترجمته في (معجم أسماء المستشرقين.ص536) قال فيه نهاد الموسى:"كان على اطلاع واسع على الثقافة العربية عموما وعلى النحو العربي خصوصا، وكان متشبعا بمبادئ النحو الوصفي التعليلي، وهو المذهب الذي تناقله عدد من العلماء الغربيين عن النحاة العرب منذ القرن الثالث عشر مباشرة أو عن لغويي وفلاسفة السكولاستيك عن فلاسفة العرب". انظر: نظرية النحو العربي:ص55(56، هامش:30.

[44] . انظر: معجم أسماء المستشرقين.ص539

المنارة للاستشارات

lequel on agit, nous emploieront communément les mots antécédent et complément, pour exprimer ces deux idées.

42 – les grammairiens Arabes donnent un peu plus d'étendue à cette action qu'on ne le fait ordinairement parmi nous, Si, par exemple, ils avaient à analyser cette phrase, Petrus occidit Paulum, ils diraient que le verbe occidit gouverne son sujet Petrus au nominatif

Et son complément Paulum à l'accusatif; et cette manière de s'exprimer me parait assez juste, puisque c'est, en effet, le verbe qui joue le principal rôle dans le discours (a).s'ils avaient à analyser cette phrase; scimus quia cum venerit (Deus), similes ei erimus, ils diraient que ces mots quia similes ei erimus sont virtuellement à l'accusatif, parce qu'ils sont le complément de scimus; ce qui n'empêcherait pas qu'ils analysent ensuite chacun des mots erimus, similes et ei, abstraction faite de la dépendance ou ils sont du mot scimus.[45]

ولعل القارئ انتبه إلى أن دي ساسي يسم فكرة العمل بـ(التبعية)، والتبعية النحوية (Dependency Grammar) **نمط من الدراسة اللغوية التي ظهرت في أوروبا، "وقد استغل على نطاق واسع في اللسانيات الحاسوبية في أكثر المؤسسات المعنية بهذا العلم، وقد بني على الفكرة بأن: جميع الألفاظ في الكلام الطبيعي إما أن يكون تابعا لغيره محمولا عليه لا وجود له إلا بوجوده، وإما أن يكون هو المتبوع، وقد يمكن أن يكون متبوعا بالنسبة لهذا وتابعا لغيره".**[46]

قال عبد الحاج صالح: "وهذه النظرية هي أقرب بكثير إلى نمط النحاة العرب، وخاصة مفهوم العمل، وليس بغريب إذا عرفنا أن هذا المفهوم قديم جدا عند الغربيين، (وتجاهله تماما اللسانيون البنويون، إلا (هوكت)، ولم يظهر عند النحاة الأروبيين إلا في العصر الوسيط،(وليس من التراث اليوناني اللاتيني)،وكانوا يستعملون فعل (Régere) **بمعنى (عمل)**[47]**".**[48]

يبدو جيدا مما سبق أن مصطلح العامل ذو مفهوم علمي، وقد ولد من رحم اللغة العربية، واستطاع به النحاة العرب أن يبلوروا به نظرية النحو العربي،

---

[45] . التحفة السنية في علم العربية، GRAMMAIRE ARABE، سلفستر دي ساسي، المطبعة الإمبريالية، باريس.15/2

[46] . بحوث ودراسات في اللسانيات العربية:239/1

[47] . قال الأستاذ معلقا: ومن أقدم من تحدث عنه نذكر النحوي الفرنسي Pierre Hélie الذي عاش في القرن الثاني عشر: انظر: Thurot.Notices.p230

[48] . بحوث ودراسات في اللسانيات العربية:239/1

المنارة للاستشارات

واستطاع به نحاة بعض اللغات الأجنبية كالإنجليزية (تشومسكي مثلا) على القول باقتباسه من تراثنا وهو الراجح كما بيناه أن يدرجوه ضمن مفاهيم النحو الكلي أو العالمي، الذي ما فتئت تطمح إليه اللسانيات الغربية الحديثة.

7 . الخط العربي أو حروف العربية في كتابة اللغات:

من المعروف أن الحرف خطا غير الحرف لفظا، ولذلك فقد تميز الحرف العربي خطا بالاقتصاد، حيث أن حروف العربية في الخط ثلاثية كالباء والتاء والثاء، لها صورة واحدة تميز بينها النقاط عددا ووضعا، مثل الجيم والحاء والخاء، وثنائية كالدال والذال، والراء والزاي، والسين والشين، والطاء والظاء، والصاد والضاد، والعين والغين، والقاف والفاء، لا يفرق بين كل اثنين إلا النقط بنقطة واحدة أو عدمه، وبقية الحروف أفراد غير متشابهة وهي الكاف واللام والنون والهاء والواو والياء والهمزة.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن الحرف خطا في العربية ينطق كما يكتب، وليس الأمر كما في الحرف اللاتيني، حيث نجد الحرف خطا ينطق لفظا بنطوق مختلفة، ولا ضابط لذلك النطق غير انتحاء سمت كلام أهل تلك اللغة، فحرف C في الإنجليزية مثلا مرة ينطق كافا ك call ومرة ينطق (تش) ك(chair) ومرة ينطق (ش) ك(precious) ومرة ينطق سينا ك(cell) وقد لا ينطق البتة كما في (descent)... هذا زيادة على أن بعض الأصوات يرمز لها بحرفين خطا كالثاء أو الذال فإنه يرمز لهما بـth.

ثم إن من خصائص الحرف العربي خطا أنه لا يمثل في الغالب إلا الصوامت، وقد ظن بعضهم أن هذا من عيوب الخط العربي، والحق أن هذه الخصوصية التي تبدو سلبية هي في الحقيقة من جملة الأسباب التي جعلت القرآن ينزل بالعربية، وسهلت كتابة اللغات غير العربية به.

والمعروف عند الدارسين العرب على الخصوص أن القرآن نزل على سبعة أحرف، وهي انعكاس للغات العرب، ولغات العرب عند المحققين ليست في الغالب لهجات، وإنما كيفيات في أداء بعض عناصر اللسان العربي، ولا يمكن لغير الخط العربي أن يستوعب كل تلك الكيفيات، ولذلك أخلى الصحابة الحرف العربي من النقط حتى يمكن له أن يستوعب كل تلك الكيفيات التي عرفت فيما بعد

المنارة للاستشارات

بالقراءات، مثل{ننشرها} أو {ننشزها} يمكن أن تكتب كتابة واحدة بغير نقط، وتقرأ قراءتين.

والمعروف أيضا أن الإسلام لما انتشر بين الشعوب غير العربية كالفرس والترك والهند مثلا استعملت هذه الشعوب الخط العربي في كتابة لغاتها، بدافع القطيعة مع تراثها الوثني، وبدافع الحب للدين الجديد وكتابه المعجز، وبدافع الإعجاب بالخط العربي الذي استوعب لغاتها ومثَّلها أحسن تمثيل.

قال الأب رفائيل نخلة اليسوعي في كتابه (غرائب اللغة العربية) تحت فصل بعنوان (تأثير العربية في 37 لغة اتخذت حروفها):

"لقد تجاوزت فتوح العرب من عصور عديدة حدود العالم العربي... فتحوا الهند في القرن السابع، وإيران سنة 625، وبالوتستان في القرن الثامن، بعد ابتداء التاسع قد استولوا على تركستان ونشروا الإسلام في كل أنحائها، أما أفغانستان فقد انتحل أهاليها هذا الدين في النصف الأول من ذلك العصر.

ثم نشره في جزيرة جاوة العظيمة تجار عرب وإيرانيون سنة 1200، فزاد انتشاره على توالي الأجيال، وكاد يصير الدين الوحيد فيها سنة 1510، أما الجزائر الفيليبية فإن العرب من أهم عناصر شعبها، مع الهنود والصينيين والأوربيين، وقد أذاعوا الإسلام في قسم منها.

هكذا انتشر القرآن وامتد نفوذ العربية في كثير من بلاد آسية، بل في إفريقيا أيضا، حيث فتح العرب شطرا كبيرا مما نسميه الآن السودان والسودان الفرنسي، فنشروا دينهم بين سكانهما وأنشأوا دولا كبيرة...

أما التتر الذين انتحل الأتراك منهم الإسلام فقد فتحوا سنة 1226 أهم مدن روسية، وظلوا مستولين على قسم كبير من تلك البلاد إلى سنة 1380.

تلك العوامل الدينية والسياسية قد أفضت حتما إلى شدة تأثير العربية في كثير من البلاد الخارجة عن حدود العالم العربي، نجد فيها عشرات الألسن المكتوبة بحروف عربية، وقد دخل قاموسَ كلها تقريبا عدد كبير من الكلمات العربية".[49]

[49] - غرائب اللغة العربية.ص124.

المنارة للاستشارات

ثم ذكر هذا اليسوعي في جدول سبعا وثلاثين منها مرتبا على حسب القارات وقال:

"شركة التوراة البريطانية والأجنبية التي مركزها في لندرة، طبعت الإنجيل في جميع تلك الألسن بالحروف العربية".[50]

وقال العقاد في كتابه (أشتات مجتمعات في اللغة والأدب) تحت عنوان (الحروف العربية أصلح الحروف لكتابة اللغات):" إن الأمم التي تعتمد على الحروف العربية في كتابتها أكثر عددا من كل مجموعة عالمية تعتمد في الكتابة على الحروف الأبجدية، ما عدا مجموعة واحدة، وهي مجموعة الأمم التي تعتمد في كتابتها على الحروف اللاتينية.

ولكن أمر صلاح الحروف للكتابة لا يعود إلى كثرة الأفراد الذين يكتبونها، بل إلى أنواع اللغات التي تؤدي ألفاظها وأصواتها، وعلى هذا الاعتبار تكون الحروف العربية أصلح من الحروف اللاتينية أضعافا مضاعفة لكتابة الألفاظ والأصوات، لأنها تؤدي من أنواع الكتابة ما لم يعهد من قبل في لغة من لغات الحضارة.

فالحروف اللاتينية تستخدم للكتابة في عائلة واحدة من العائلات اللغوية الكبرى، وهي العائلة "الهندية الجرمانية" ... وعلى كثرة اللغات والعائلات اللغوية التي تؤديها حروف العربية لم يزل ضبطها للألفاظ أدق وأسهل من ضبط الحروف اللاتينية التي تستخدم لكتابة عائلة لغوية واحدة".[51]

ثم إن هذا الذي قرره العقاد وأثبته التاريخ من وظيفية الحرف العربي ينبئ عن حقيقة أخرى هي أهم ما في الموضوع، وهي تلك التي عبر عنها العقاد في مقاله السالف الذكر بقوله:

"وقد استطاعت هذه الأمم جميعا أن تؤدي كتابتها بالحروف العربية دون أن تدخل عليها تعديلا في تركيبها ولا أشكالها المنفردة، ولم تتصرف فيها بغير زيادة العلامات والنقط على بعض الحروف، وهي زيادة موافقة لبنية الحروف العربية، وليست بالغريبة عنها، لأن العرب أنفسهم أضافوا النقط والشكل عند الحاجة إليها. وليست زيادة شرطة على الكاف بأغرب من زيادة النقط على

[50] - نفس المرجع، ص. 124.

[51] - أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي، القاهرة.ص29.

المنارة للاستشارات

الحروف، مفردة أو مثناة، وفوق الحرف أو تحته، للتمييز بين الأشكال المتشابهة أو المتقاربة".[52]

وذلك كالحروف الأربعة التي زادها الفرس على الأبجدية العربية وهي: پ ، چ، ژ، گ، والتي استعارها منهم الأتراك يوم كانوا يكتبون لغتهم بالحرف العربي، وكذلك الهنود المسلمون فيما يسمى باللغة الأردية.

الخاتمة:

بعد هذا الحديث عن بعض مظاهر عالمية اللغة العربية نخلص إلى القول بأن اللغة العربية مقوّمات قوتها في ألفاظها الحضارية، التي استوعبت تراث السابقين وزادت عليه بابتكارات أهلها واختراعاتهم، وفي أبنية كلمها الصرفية المجردة، التي لا نظير لها في لغات العالم، وفي نظرية التقاليب اللغوية التي أدت إلى صنع أول معجم في تاريخ البشرية، وفي منطقية تراكيبها التي يحكمها العامل، والتي اعتبرت به اللغة العربية لغة رياضية بحق وامتياز، وفي خطها الذي احتوى لغات من عائلتها السامية ومن غير عائلتها، بل وفي كونها لغة القرآن العظيم ولسان الدين الإسلامي الحنيف.

المراجع:

1 - الأنطاكي محمد، الوجيز في فقه اللغة، دار الشروق، ط2، بيروت.

2 - براون إدوارد جرانفيل، تاريخ الأدب الإيراني من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة.

3 . بن حجر محمد، الاستدلال في كتاب سيبويه: طبيعته وأنماطه، رسالة دكتوراه، إشراف. بن لعلام مخلوف، جامعة سعد دحلب، البليدة، الجزائر.

4 . البهنسي عفيف، الخط العربي: أصوله نهضته انتشاره، دار الفكر، دمشق، ط1، 1984م.

5 - الحاج صالح عبد الرحمن، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، 2007م، الجزائر.

6 . حقي سهيل صابان، معجم الألفاظ العربية في اللغة التركية، ط1، 1426 هـ، 2005م.الرياض، المملكة العربية السعودية.

7 . الدارودي سعيد بن عبد الله، حول عروبة البربر: مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان، منشورات فكر، طبعة 2012م، الرباط، المملكة المغربية.

[52] - نفس المرجع، ص. 29.

المنارة للاستشارات

8 . الراجحي عبده، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، طبعة 1406هـ/1986م.
9 . ربحي كمال، دروس اللغة العبرية، دار النهضة العربية، 1978م، بيروت.
10 . سعدي عثمان، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية (البربرية)، منشورات مجمع اللغة العربية الليبي، ط1، 2007م.
11 . سلامة سليم سلامة يوسف، العبرية لهجة عربية عادية، رسالة ماجستير بإشراف: يحي عبد الرؤوف جبر وغانم مزعل، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
12 . الصياد فؤاد عبد المعطي، القواعد والنصوص الفارسية، دار النهضة العربية، ط2، 1970م، بيروت، لبنان.
13 . عبد المنعم محمد نور الدين، قاموس الألفاظ العربية في اللغة الفارسية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1426هـ.
14 . العقاد عباس محمود، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة.
15 . علام عبد العزيز أحمد، عبد الله ربيع محمود، في فقه اللغة، مكتبة الرشد، ناشرون، ط1، 1425هـ،1 -2004م، الرياض، المملكة العربية السعودية.
16 . القرطبي أبو الوليد مروان بن جناح، الأصول، تحقيق: نوباور، أكسفورد،ط1 ، دون تاريخ.
17 . معصومة عبد الصاحب، الجمل الفرعية في اللغة العربية: بين تحليل سيبويه ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية، كنوز المعرفة، (د.ت)(د.ط).
18 . موقع كتب عربية، معجم أسماء المستشرقين، د ت.
19 . النحوي أبو حيان، الإدراك للسان الأتراك، معرف نظار تجليله سنك 242 نومرولي رخصتنامه سيله، مطبعهٔ عامري، ده طبع أولنمشدرن 1309.
20 . هونكه زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ط8، 1413هـ، 1993م، بيروت.
21 . اليسوعي الأب رفائيل نخلة، غرائب اللغة العربية، الطبعة الثانية المكملة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

مقال في مجلة:

22 . الطرازي عبد الله مبشر، اهتمام الأتراك باللغة العربية وأثرها في اللغة التركية، صحيفة المدينة، الأربعاء، 2011/05/04.

المراجع باللغة الأجنبية:

23 -le livre des parterres fleuris- le rabbin Moise Metzer - Paris 1889 -
24 - *Silvestre de Sacy*, Grammaire Arabe.

المنارة للاستشارات